



إبَارشِيَّة جَنُوبِي الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْآمَرِيكِيَّةِ الرَّسَالَةُ الشَّهْرِيَّة لِلرَّهْبَانِ وَالرَّاهِبَاتِ وَالْمَكْرَسِينَ وَالْمَكْرَسَاتِ

يَنَايِر ٢٠١٨

أَحِبَائِي،

سَلَامٌ وَنِعْمَةٌ.

فِي رَسَالَتِنَا الْآخِرَةِ لَشَهْرِ نَوْفَمْبَرٍ، بَدَأْنَا فِي مَنَاقِشَةِ النَّدْوَرِ الرَّهْبَانِيَّةِ الثَّلَاثَةِ، الَّتِي نَلْتَزِمُ أَنْ نَحْيَا بِهَا فِي الدَّيْرِ، وَالَّتِي سَيَتَعَبَّنَ عَلَيْنَا أَنْ نَجِيبَ عَلَيْهَا أَمَامَ حَكْمِ عَرْشِ اللَّهِ.

نَاقِشْنَا أَمْهِيَّةَ نَذْرِ الطَّاعَةِ فِي الْمَجْمَعِ الرَّهْبَانِيِّ، فَبِدُونِ الطَّاعَةِ سَيَكُونُ مِنَ الصَّعْبِ الْعَيْشُ فِي وِثَامٍ، وَمِنَ الصَّعْبِ الْحِفَافُ عَلَى الْأَسَاسِ، لِأَنَّ الْإِرَاءَ الْمُخْتَلِفَةَ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَسَبِّبَ التَّغْيِيرَ الْمُسْتَمَرَّ، فَيَفْتَقِرُ كُلُّ رَاهِبٍ وَالدَّيْرِ كَكُلِّ لِلسَّتْقَرَارِ وَالنَّمُوِّ. وَهَذَا الشَّهْرُ، أُوْدُ أَنْ نَسْتَمَرَّ فِي نَفْسِ الْمَوْضُوعِ، وَنَنَاقِشَ نَذْرَ الْفَقْرِ الْإِخْتِيَارِيِّ، وَأَمْهِيَّتَهُ فِي الْمَجْمَعِ الرَّهْبَانِيِّ.

لَقَدْ قَالَ رَبَّنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا فَادْهَبْ وَبِعْ أَمْثَلَاكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَثْرٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اثْبَغْنِي». (مت ١٩: ٢١)، وَهَكَذَا فَعَلْنَا. لَقَدْ تَرَكْنَا الْكُلَّ وَتَبِعْنَاهُ. وَلَكِنْ لِمَاذَا لَا يُمْكِنُ أَنْ نَجْلِبَ مَعْنَا جِزْءًا مِنْ أَمْوَالِنَا الْمَكْتَسِبَةِ؟ أَلَا يُمْكِنُنَا أَنْ نَسْتَعْمِدَ بَعْضًا مِنْهَا لِلتَّبَرُّعِ لِلدَّيْرِ، أَوْ لِلوَفَاءِ بِاحْتِيَاجَاتِنَا الشَّخْصِيَّةِ؟ وَلِمَاذَا يَكُونُ مِنَ الْمَهْمِ جَدًّا أَنْ نَتْرَكَ كُلَّ شَيْءٍ وَرَاءَنَا وَنَأْخُذَ نَذْرَ الْفَقْرِ الْإِخْتِيَارِيِّ؟ تَذَكَّرْ قِصَّةَ الْإِخِ الَّذِي أَبْقَى جِزْءًا مِنْ مَمْتَلِكَاتِهِ، وَذَهَبَ إِلَى الصَّحْرَاءِ لِيَكُونَ رَاهِبًا:

"تَرَكَ أَحَدُ الْأَخْوَةِ الْعَالَمِ وَوَجَّعَ ثَرَوَتَهُ عَلَى الْفُقَرَاءِ مُحْتَفِظًا بِالْقَلِيلِ لِنَفْسِهِ. هَذَا زَارَ الْقَدِيسَ أَنْطُونِيُوسَ. وَبَعْدَ أَنْ عَلِمَ الْأَبُ بِأَمْرِهِ، قَالَ لَهُ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَصِيرَ رَاهِبًا، اذْهَبْ إِلَى الْقَلَايَةِ الْفَلَانِيَّةِ، وَاشْتَرِ لِحِمَاً وَضَعَهُ حَوْلَ جَسَدِكَ الْعَارِي وَبَعْدَ ذَلِكَ تَعَالَ إِلَيَّ إِلَى هُنَا. وَعِنْدَمَا فَعَلَ كَمَا أَمَرَهُ الْأَبُ، هَاجَمَتْهُ الْكَلَابُ وَالطَّيُورُ الْجَارِحَةُ وَمَزَقَتْ جَسَدَهُ. وَعِنْدَمَا عَادَ إِلَى الْأَبِ، سَأَلَهُ إِذَا عَمِلَ بِنَصِيحَتِهِ. فَأَرَاهُ الْإِخُ الْجَسَدَ الْمَمْزُوقَ. فَقَالَ لَهُ الْقَدِيسُ أَنْطُونِيُوسُ: إِنَّ الَّذِينَ مَقَتُوا الْعَالَمَ وَأَرَادُوا أَنْ يَقْتَنُوا الْمَالَ، هَكَذَا تَقَطَّعَهُمُ الشَّيَاطِينُ الَّتِي تَحَارِبُهُمْ".^(١)

وَبِالْتَّالِي فَإِنَّ الرَّاهِبَ الَّذِي يَعِيشُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ – بَعْدَ أَنْ تَرَكَ الْعَالَمَ فَقَطْ جَسَدِيًّا وَلَيْسَ دَاخِلِيًّا، بِالْجَسَدِ وَلَكِنْ لَيْسَ بِالنَّفْسِ، سَوْفَ يَجِدُ نَفْسَهُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ بِالنَّسْبَةِ لِلْعَالَمِ، وَسَوْفَ يَتَعَثَّرُ كَثِيرًا فِي نَمُوِّهِ مِنْ نَاحِيَةِ إِنْكَارِ الذَّاتِ وَالِاتِّضَاعِ – وَهِيَ الْفَضِيلَتَانِ اللَّتَانِ تَقُودَانَا إِلَى الْمَوْتِ عَنِ النَّفْسِ. فَفَقَرْنَا الْإِخْتِيَارِي لَيْسَ هُوَ فَقَطْ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْحَاجَاتِ الْمَادِيَّةِ، بَلْ هُوَ أَيْضًا لِكُلِّ مَا نَمْلِكُ. إِنَّهُ فَقْرُ الْمَشِيئَةِ. لَقَدْ اتَّبَعْنَا رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ أَفْقَرَ الْفُقَرَاءِ، الَّذِي لَمْ يَمْتَلِكْ أَيَّ شَيْءٍ، وَأَخْلَيْنَا ذَوَاتِنَا تَمَامًا طَلِبًا لِرَحْمَةِ سَيِّدِنَا. حَقًّا، إِذَا مَا فَعَلْنَا هَذَا بِإِخْلَاصٍ، فَإِنَّ حَيَاتِنَا فِي الدَّيْرِ سَوْفَ تَكُونُ مَلِيئَةً بِالْبَرَكَاتِ لِأَنَّهَا مِنْ خِلَالِ فِقْرِنَا أَصْبَحْنَا أَغْنِيَاءَ فِي الْمَسِيحِ. وَنَحْنُ، بِدُونِ تَشَبُّثٍ بِالرَّأْيِ، وَلَا مَشِيئَةٍ ذَاتِيَّةٍ، سَوْفَ نَطِيعُ كَلِمَتَهُ بِاتِّضَاعٍ، وَبِالْتَّالِي سَوْفَ نَكُونُ مَطِيعِينَ لِبَعْضِنَا لِبَعْضٍ. سَيَكُونُ مِنَ السَّهْلِ عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ كَلِمَةَ "حَاضِرٌ"، وَبِعَارَةِ "لَقَدْ أَخْطَأْتُ، سَامِحْنِي"، لِأَنَّهَا دَاخِلِيًّا، لَا نَمْتَلِكُ شَيْئًا نَتَنَازَعُ بِسَبَبِهِ.

الرَّجُلُ الْغَنِيِّ يَحْرُسُ مَمْتَلِكَاتِهِ، وَيُدَافِعُ عَنِ شَرْفِهِ، وَلَكِنَّ الرَّجُلَ الْفَقِيرَ يَقْبَلُ كُلَّ مَا يَأْتِي عَلَيْهِ. اعْلَمُوا يَا أَحِبَائِي، أَنَّ الرَّاهِبَ الْمَلْتَزِمَ تَمَامًا بِنَذْرِ الْفَقْرِ الْإِخْتِيَارِيِّ لَنْ يَتَحَدَّى أَوْ يَعْتَرِضَ أَبَدًا قَانُونًا مَا فِي الدَّيْرِ مِنْ خِلَالِ اقْتِرَاحِ شَيْءٍ آخَرَ غَيْرَ مَا تَقَرَّرَ بِالْفِعْلِ، لَنْ يَرْفُضَ أَنْ يَعْمَلَ، لَنْ يَجَادَلَ أَبَدًا، وَلَنْ يَتَجَاهَلَ أَبَدًا نَصِيحَ مَنْ عَهَّدَ إِلَيْهِ بِالْقِيَادَةِ. إِذَا كُنَّا نَعْتَرِضُ دَائِمًا عَلَى كَلِمَاتِ رَئِيسِ الدَّيْرِ أَوْ إِدَارَةِ الدَّيْرِ، إِذَنْ أَيْنَ يَظْهَرُ فِقْرُنَا الْإِخْتِيَارِيِّ؟ يَظْهَرُ فِي مِثْلِ هَذَا السَّلُوكِ الشُّعُورُ بِالْمَلِكِيَّةِ. إِذَا كُنَّا دَائِمًا مَا نَطْرَحُ رَأْيًا مُخْتَلِفًا، أَوْ نَقْدَمُ اقْتِرَاحَاتَ بِنَاءٍ عَلَى رَغْبَاتِنَا الْخَاصَّةِ وَمَا يَضْمَنُ لَنَا الرَّاحَةَ، فَلَمْ

نَئُتْ بعد عن العالم، ولكننا قمنا بتغيير مكان إقامتنا وملابسنا فقط. هذا ليس موت عن العالم، ولكنه مجرد نمط جديد للحياة. إنَّ عدم أخذ معاني النذور بجدية يضرّ نمو الراهب والدير لأن النذور هي الأدوات التي تقودنا إلى الإنكار التام لإرادتنا، وإذا عملنا على إماتة ذواتنا، حينئذٍ يمكننا أن نحيا حقاً لإرادة ومجد الله.

اسألوا أنفسكم يا أحبائي:

هل غيّرت ملابسك فقط، أم هل غيّرت حياتك؟! ويل للراهب الذي يرفض أن يعيش طبقاً للنذور الرهبانية ويتخلى عن إرادته!

يقول القديس يوحنا كاسيان الآتي، مشيراً إلى الطمع:

"يجب علينا إذاً أن نبذل كل جهد لكي نقتلع من أنفسنا جذر كل الشرور هذا: أي الطمع، في المعرفة المؤكدة إذا ظل الجذر باقياً، فإن الأفرع تنبت ثانية وتنمو بحرية. إن هذا الاقتلاع يصعب تحقيقه إلا إذا كنا نحيا في دير، لأننا في الدير نكف عن أن نقلق حتى على احتياجاتنا الأساسية جداً. وبوضع مصير حنايا وسفيرة في الذهن، يجب علينا أن نقشعر أمام فكرة الاحتفاظ لأنفسنا بأي شيء من ممتلكاتنا السابقة."^(٢)

أمران مهمان هنا ينبغي تسليط الضوء عليهما: الأول، هو أنه يقال أن أولئك الذين يعيشون في الدير هم فقط لديهم الأمل في الهروب من رذيلة الطمع، لأننا من المفترض أن نكف عن القلق على احتياجاتنا الأساسية. والأمر الثاني، هو أن هذه الممتلكات السابقة ليست فقط مادية، ولكن أيضاً الوضع الاجتماعي، ووسائل الراحة، ورغبتنا في المتعة. لأنه كما قال يوحنا كاسيان، إذا كنا لا نبذل جهداً واعياً للتخلي عن كل هذا فستنبت لنا هذه الجذور، في نهاية المطاف، فروعاً، وسوف نجد أنفسنا سقوطاً، وعميقاً، في شرك خطية الكبرياء، نعيش لذواتنا دون حتى أن نعي هذا.

إن النذور الثلاثة: الطاعة، والفقر الاختياري، والعفة (البتولية)، هي الجذور اللازمة لنموننا. ومن خلال الحياة بأمانة وصدق لهذه النذور الثلاثة نستطيع محاربة جميع الإغراءات والتجارب الأخرى.

في الفيلوكاليا، يقول القديس إيفاجريوس المتوحد، عن التجربة على الجبل:

"في مقاومة الشياطين لنا أثناء ممارستنا التداريب الخاصة بالحياة النسكية، يوجد ثلاث مجموعات تحارب في الخط الأمامي: هؤلاء الذين يعهد إليهم بشهوات البطننة، هؤلاء الذين يقترحون أفكار الطمع، وهؤلاء الذين يحضوننا لكي نبحث عن تقدير الناس. وبعد ذلك تأتي كل الشياطين الأخرى خلفهم، وبدورهم يهاجمون هؤلاء الذين جرحوا فعلاً بواسطة الفرق الثلاثة الأولى. لأن الإنسان لا يقع في يد شيطان الدنس؛ إن لم يسقط أولاً بسبب البطننة؛ ولا يثار غضب الإنسان، إلا إذا كان الإنسان يحارب من أجل الطعام أو تملك الماديات أو تقدير الناس. [...] ولا أن يتخلص من الكبرياء؛ الذرية الأولى للشيطان. إن لم يطرد الطمع، أصل كل الشرور. حيث أن الفقر يجعل الإنسان متواضعاً، كما قال سليمان (أم ١٠: ٤). وباختصار لا يمكن أن يقع إنسان في يد أي شيطان إن لم يُجرح من هؤلاء الذين في الخط الأمامي."^(٣)

فليمنحنا الله نعمة أن نعيش صدق دعوتنا، وأن نحمل صليبنا، وأن ننكر مشيئتنا.

ليكن سلام ومحبة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم.

والمجد لله إلى الأبد. آمين.

(٢) الفيلوكاليا النصوص الأصلية الكاملة، ترجمة الراهب القس أغاثون الأنطوني، لجنة التحرير والنشر مطرانية بني سويف (العباسية - الطبعة الأولى ٢٠٠٩) القديس يوحنا كاسيان في الخطايا الثمانية، (في الطمع)، ص ٨٠.

(٣) المرجع السابق، القديس إيفاجريوس المتوحد، نصوص عن الإفراز من جهة الشهوات والأفكار، ص ٣٥، ٣٦.

تفسير المزمور الكبير (مز ١١٨)

للقديس ثيوفان الناسك

رحلة رهبانية خلال المزمور ١١٨ ...

المقطع الأول (آية ١ - ٨)

آية ٢: "طوبى لحافظي شهاداتي. من كل قلوبهم يظنوبون!"

بالحقيقة هم مباركون كل أولئك الذين يفحصون في شهادات الله، أولئك الذين بأفعالهم يبحثون في كل ما يذكر في كلام الله. أولئك الذين يبدأون في اتباع كلمة الله. لا يساقون إلى تجارب روحية على التو، لأنهم في هذا الوقت لا يكونون على استعداد لها، لأنه يكون لا يزال هناك الكثير من الضوضاء والفوضى في أرواحهم وقلوبهم. غير أن، وفي الوقت المناسب، عندما تكون المشاعر قد هدأت، تبدأ الاختبارات الروحية، بدءاً من الحوادث الصغيرة إلى الكبيرة منها. وكلما استمروا، كلما اختبروا أكثر، حتى أنهم في النهاية يكتسبون الحواس المدربة على التمييز بين الخير والشر (عب: ٥: ١٤). الهدف من السعي نحو الرب ليس مجرد من أجل السعي في حد ذاته، ولكن بالحري هو سعي من أجل أن نجده. وعندما نجده، نمكث معه وفيه، نمثلكه وبممتلكنا.

- القديس ثيوفان الناسك

آية ٤: "أنت أوصيت بوصاياك أن تحفظ تماماً"

الاجتهاد:

ينبغي ألا نتصرف بعقل مشتمت، وقلب غير مبالٍ عندما نقوم بتنفيذ الوصايا. ولكن بكل القلب، وبحرص كامل، وباجتهاد وعناية نتمم وصايا الله، مع توقيير هذا الذي أعطى هذه الوصايا.

- ثيودوريت

الإهمال:

ومع ذلك فإننا إذا ما نفذنا الوصايا بقلب مهمل وعقل منشغل بأفكار أخرى، فإننا سوف نتمم واجباتنا ظاهرياً فقط، أي بأعضائنا الجسدية فقط.

- القديس هيلاريون

نحن نخطيء في هذا الصد من خلال غلاظة القلب. أفعالنا تكون صحيحة، لكنها بلا قلب، وغالباً بلا روح أيضاً. عند السجود، خُر بخشوع داخل قلبك للذي يرى الكل، القادر على كل شيء... في إعطاء الصدقات، افعل ذلك بقلب متوجه نحوه من هو مستعد لقبولها في الخفاء... عند غفران إهانة ما، افعل ذلك كما لو كان ذلك كتكفير مرسل من الله لالتماس المغفرة لنفسك عن خطاياك. وهكذا، في كل شيء، في كل أعمالنا لا بد أن يكون هناك رغبة داخلية صالحة حقيقية، وهذا ما يعطي الأفعال الخارجية قيمتها.

- القديس ثيوفان الناسك

النمطية:

مصيبتنا الكبرى هي أن أي شيء نقوم به يصبح روتينياً. بعد أن يتكرر نفس الفعل في القلب مرات عديدة... يصبح غير مبالٍ... تبدأ الأفكار في التشتت... وكل ما يتم عمله، يتم عمله بصورة شكلية... فما الذي يجب فعله؟! لا يوجد علاج آخر بخلاف وضع قاعدة لنفسك: دائماً اعتبر أنك مازلت تبدأ، دون التفكير في أنك قد أحرزت أي شيء من قبل. كل ما تفعله، افعله كما لو كنت تفعله لأول مرة.

- القديس ثيوفان الناسك